ظاهرة الإسلاموفوبيا في التصور الغربي

أ / حفظاوي سعيد ـ جامعة خنشلة ـ

ملخص:

يعالج هذا المقال ظاهرة "الإسلاموفوبيا" التي كثر الحديث عنها منذ نهاية الحرب الباردة، ثم زادت الوتيرة بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، وأعيد الحديث عنها بعد تفجيرات باريس في الثالث عشر نوفمبر 2015.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الإطار المفاهيمي "للإسلاموفوبيا" من خلال تحديد المفهوم، وخلفياته، ومظاهره، وطرق القضاء عليه أو الحد منه.

Abstract :

This article deals with the phenomenon of "Islamophobia" the much talked about since the end of the Cold War, then increased after the events of September 11 / 2001, and was talking about it after the bombings in Paris in November 13 / 2015.

This study aims to identify the conceptual framework of the "Islamophobia، by selecting the concept, background, and manifestations, and ways to eliminate it or reduce it.

مقدمة:

أعادت تفجيرات باريس ليوم الجمعة الثالث عشر من شهر نوفمبر 2015 إلى الأذهان تفجيرات الحادي عشر سبتمبر 2001، خاصة وأن القاسم المشترك بينهما واحد، فقد وجهت أصابع الاتهام في كلا الحادثين إلى المسلمين أو بالأحرى إلى ما يسمى الإرهاب الإسلامي، كما تزامنت تلك الأحداث مع إعادة بعث مصطلح "الإسلاموفوبيا" إلى الواجهة على الأصعدة الإعلامية والأكاديمية والرسمية الغربية. من هنا تتمحور إشكالية هذا البحث حول ظاهرة "الإسلاموفوبيا" من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: ما معنى الإسلاموفوبيا، ما خلفياتها، ما مظاهرها، وكيف يمكن القضاء عليها أو على الأقل الحد منها؟.

للإجابة على الأسئلة السابقة تم تقسيم البحث إلى أربع عناصر:

- **مفهوم الإسلاموفوبيا.**
- **الخلفيات القائمة وراء ظاهرة الإسلاموفوبيا.**
- **مظاهر الإسلاموفوبيا.**
- **علاج ظاهرة الإسلاموفوبيا.**

أولا: مفهوم الاسلاموفوبيا: من الناحية اللغوية التركيبية يتكون مصطلح الإسلاموفوبيا "ISLAMPPHOBIA" من كلمتين: "ISLAM" أي دين الإسلام، و"PHOBIA" وتعني الخوف المرضي أو الخوف الشديد وغير المبرر، أو الرعب من شيء أو مكان أو موقف ما.

الإسلاموفوبيا مصطلح "يمكن تعريفه بأنه خوف أو رؤية تحقير للإسلام والمسلمين والمسائل ذات الصلة"[(1)].

كما يعرف قاموس"larousse" الإسلاموفوبيا بأنها "العداء تجاه الإسلام والمسلمين"[(2)]، ومن ثم يمكن التأكيد على أن مصطلح الإسلاموفوبيا يتعدى مفهوم الخوف المرضي، لتشمل دلالات التعصب والكراهية والتمييز ضد المسلمين على أساس جنسهم ودينهم، وقد قام مقرر الأمم المتحدة، المختص بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من أشكال التعصب، في تقريره الذي رفعه إلى الدورة السادسة لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في عام 2006، بتعريف الإسلاموفوبيا على أنها تعبر عن مشاعر العداء والخوف التي لا أساس لها تجاه الإسلام، ينتج عنها تأجيج مشاعر الخوف والكراهية ضد جميع المسلمين أو غالبيتهم، وأضاف ان المصطلح يشير إلى

الممارسات العملية لهذا العداء من حيث التمييز والتحامل والمعاملة غير المنصفة التي يقع المسلمون ضحايا لها[3].

رغم أن مصطلح الإسلاموفوبيا قد ظهر حسب بعض الدراسات في بدايات القرن العشرين، إلا أنه لم يحظ بالأهمية و بقوة ووتيرة الإستخدام مثلما حظي بها في الفترة التي تلت الحرب الباردة .

ثانيا: الخلفيات القائمة وراء ظاهرة الاسلاموفوبيا

إن الغرب يحمل في ضميره الجمعي تصورات تاريخية بشأن الإسلام والمسلمين، هذه التصورات تمثل إلى حد كبير الخلفية الكامنة وراء نشوء وتطور ظاهرة الإسلاموفوبيا وما نتج عنها من مختلف المواقف والسياسات والاستراتيجيات الغربية المتخذة تجاه العالم الإسلامي والظاهرة الإسلامية، وأهم هذه التصورات أو الخلفيات ما يلي:

1- **أجنبية الإسلام وعدم المعرفة به:** لقد ارتبطت نظرة الغرب إلى الإسلام دائما وأبدا ارتباطا وثيقا بتعريف مصطلح "الأجنبي"، حيث نجد الإسلام هو أول ثقافة أجنبية يلتقي بها الأوروبي حين ينتقل من أوروبا في اتجاه الجنوب أو الشرق، وقد كان تفاعل أوروبا مع الأطراف المتاخمة لحدودها الأسيوية أو المتوسطية عاملا مهما في تطور إحساس القارة بوصفها الجيوبوليتيكي ودورها العالمي .

منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، والعلاقة بين الإسلام والغرب يشوبها الالتباس والغموض والفهم الخاطئ، حيث ظل الإسلام في نظر الغرب هو ذلك الآخر البربري الغازي والحاقد المحارب..، لذلك نجد عدة دراسات إستشراقية استهدفت منذ العصور الوسطى وتوخت تشويه صورة الإسلام، إلى الحد الذي جعل البعض يعتبر المسلمين في حالة حرب دائمة، وبالتالي فلا يصلح معهم الحوار أبدا [4].

لقد تكونت في وعي الأوروبيين في القرون الوسطى ملامح الصورة التالية عن الإسلام: "إنه عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، إنها دين الجبر، والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة.."[5]، ومن ثم فإن الغرب لا يعترف بالإسلام ولا يأخذ في الاعتبار أية ديانة بعد المسيحية، بل إنه يعتبر الإسلام خطأ مطلقا لا بد من رفضه، ولأنه يمثل خطرا بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربته، كما تم غلق باب النبوة أمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتأليه سيدنا عيسى عليه السلام وجعله هو الله أو مساويا له[6].

كما ارتبط سوء فهم الإسلام بعدم التفرقة بين ما هو من صلب الدين وما هو من صنع التاريخ والظروف، حيث يربط الغرب المعاصر الإسلام بالعديد من الصفات والمفاهيم السلبية كالإرهاب، وعدم الاعتراف بالآخر، والتكفير، والقسوة والتعصب، ورفض الحوار، والإتكالية، والرجعية [7].

إلا أن العديد من الباحثين يعتقدون أن الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم تكن بسبب جهل أوروبا به، ولكنها في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلفت بالحقد والخوف من تنامي تأثير هذا الدين على أوروبا نفسها وعلى العالم أجمع، وقد استمر بناء هذه الصورة السلبية عن الإسلام طوال الألف عام الماضية بشكل مركز ومستمر، لم تنقطع إلا في فترات محدودة للغاية، ولم تخالفه أو تعترض عليه إلا دوائر ثقافية وفكرية صغيرة وغير مؤثرة في الموقف الفكري الغربي[8].

2- **دور الإسلام في فقدان أوروبا للوحدة المتوسطية:** إن العقل الأوروبي لا زال يحمل آثار ذكريات الغزو الإسلامي لأوروبا في القرن السابع، وإن كان التبرير الظاهري للعداء الغربي للعالم الإسلامي أنه رد فعل على التهديدات ولغة القتال والجهاد التي تصل الغرب من العالم الإسلامي[9].

يعتقد الغرب أن ثمة تراث قوي أكد وجود إرث تاريخي مشترك وحضارة مشتركة حول البحر المتوسط، يربطان جنوب أوروبا وشمال إفريقيا والمشرق، هذا الميراث هو تراث الإمبراطورية الرومانية ونسقها الموحد، إلى حد ما، للعلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر البحر المتوسط، إنه نسق امتد طويلا بعد سقوط الإدارة الرومانية التي تحطمت بعد ذلك نتيجة توسع سلطة الإسلام التي شاعت في جنوب أوروبا نتيجة سلسلة الغزوات الإسلامية المتتابعة، وما ترتب عليها من فقدان الاتصالات الحرة، ليس فقط بين الشمال والجنوب بل وأولا وأساسا بين الشرق والغرب، كان لها دور مهم في التطورات التي شهدتها أوروبا خلال العصور الوسطى. ومن ثم فإن الغرب ينظر إلى الإسلام باعتباره الحضارة المتوسطية الكبرى التي لها قوة توحيدية، وأن التقاء الحركات السياسية الإسلامية عبر الشمال الإفريقي والمشرق والنمو المتصاعد للعامل الإسلامي في منطقة البلقان، يوحي بأن إمكانية الإسلام كقوة توحيدية في منطقة البحر المتوسط أبعد من أن تكون قد استنفذت[10].

كما أن الإستشراق تميز لفترة طويلة بموقف عدائي اتجاه الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية، لأنه يعتبر أن الإسلام هدد أوروبا المسيحية حتى عام 1571، وقد أفلح في إزاحة سلطان روما نفسها وهو أمر لا يمكن لأي

أوروبي أن ينساه أو يتناساه، وهذا الموقف يثيره الإستشراق دائما في كتاباته فيحرك في الأعماق كثيرا من الآلام في نفوس الأوروبيين، ومن ثم تنمية الشعور بالحقد والكراهية للإسلام والمسلمين[11].

3- **الثورة الإسلامية في إيران:** من بين جميع التطورات الإقليمية في السبعينيات من القرن الماضي تشكل الثورة الإيرانية وأزمة الرهائن أكثر العوامل قدرة على تشكيل الموقف الغربي من الإسلام والعالم الإسلامي، وخاصة لدى السياسة الخارجية الأمريكية والرأي العام الأمريكي، فالأمريكيون الذين ينظرون إلى بلادهم على أنها "الحضارة والتمدن" صدموا لدى سماعهم آية الله الخميني يطلق على الولايات المتحدة لقب "الشيطان الأكبر"، وقد أشار أحد المسؤولين الأمريكيين إلى أنه "لا غرابة في أن التجربة الإيرانية قد كيفت إلى حد بعيد الرأي العام الأمريكي حول طبيعة الإسلام الأصولي التي تتميز بالعنف والعداء لأمريكا".

ففي نظر الولايات المتحدة قد شكل الإسلام السياسي تهديدا أمنيا للمصالح الأمريكية، وكان شبح الصدام بين العالم الإسلامي والغرب أحد أهم الأسباب الرئيسية وراء اعتراض وزير الخارجية الأمريكية السابق – سايروس فانس على استعمال القوة العسكرية لإنقاذ الرهائن الأمريكيين في إيران، فقد كان يرى أن الخميني وأتباعه بانجذابهم الروحي القوي كشيعة إلى فكرة الاستشهاد قد يرحبون بأي عمل عسكري أمريكي ويجعلون منه وسيلة لتوحيد العالم الإسلامي ضد الغرب[12].

لقد امتد تأثير تلك الثورة إلى كل من باكستان وأفغانستان ولبنان والكويت والبحرين، وقد كان اغتيال الرئيس السادات على يد جماعة إسلامية التوجه، بالإضافة إلى الهجمات الدامية ضد الأفراد والمواقع والتجهيزات الأمريكية في لبنان والكويت وغيرهما سببا في تعميق قلق المسؤولين الأمريكيين إزاء تصدير الأصولية الإسلامية الإيرانية إلى الخارج، وهو ما يؤدي إلى تهديد المصالح الأمريكية في المنطقة.

وهناك من يبرر الموقف العدائي الغربي تجاه العالم الإسلامي على أنه استجابة أو رد فعل لتصريحات بعض القادة والمفكرين المسلمين مثل نظرية سيد قطب عن شرور الجاهلية الغربية، أو تصريحات الخميني بأن الغرب كله فساد [13]، وتجدر الإشارة هنا إلى عامل مهم أثر في موقف الغرب من المسلمين والعالم الإسلامي، قبيل الثورة الإيرانية، وهو استخدام الدول الإسلامية، التي تمثل أغلب الدول المنتجة للنفط، للبترول كسلاح سنة 1973، وهو ما أربك اقتصاديات الغرب[14].

وهكذا لونت الثورة الإسلامية في إيران موقف الولايات المتحدة السلبي تجاه الإسلام عامة والإسلام السياسي على وجه الخصوص، ويوضح أحد الاستطلاعات أن أحد العوامل التي تمنع الأمريكيين من تقدير الإسلام السياسي تقديرا إيجابيا هو ارتباطه في أذهانهم بإيران، وهذا الارتباط الوثيق بين إيران والإسلام قد تسبب بضرر لصورة الإسلام في عيون الغرب عامة والأمريكيين خاصة[15].

4- **أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001:** بغض النظر عن الفاعل الحقيقي المتسبب في هذه الأحداث، سواء كان حركات محسوبة على الإسلام أو مخابرات أمريكية تسعى لإيجاد ذريعة لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، فإن هذه الأحداث تمثل أول أهم عامل من عوامل تشكيل الموقف الغربي تجاه العالم الإسلامي والمسلمين في القرن الحادي والعشرين، وهو يوازي في حجم تأثيره السلبي على هذا الموقف، أو يفوق، حجم تأثير الثورة الإيرانية وقضية الرهائن في القرن العشرين، حيث أنه وبتأثير من الإعلام الغربي والسياسة الغربية، بل وحتى من الأكاديميين الغربيين، تم تعبئة الرأي العام الغربي أكثر من أي وقت مضى في اتجاه اعتبار المسلمين والعالم الإسلامي والحركات الإسلامية كجهة مسؤولة بدرجة أولى عن هذه الأحداث.

كما لا يوجد مجال للشك أن هذه الأحداث وما تلاها قد امتحنت العلاقات بين الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية من جهة والعالم الإسلامي من جهة ثانية، وأظهرت النتائج انعداما واضحا للثقة بل وأكثر من ذلك عداء صارخا بين الطرفين[16].

ثالثا: مظاهر الإسلاموفوبيا: باستقراء تاريخ العلاقات بين الغرب والمسلمين تتبين لنا بعض المحطات التاريخية الهامة التي تبين درجة الإحتكاك بين الطرفين كما تعكس درجة الخوف وأكثر منه العداء الغربي للإسلام والمسلمين، أهمها:

1- **الحروب الصليبية:** ظل الشرق والغرب قرونا طويلة لا يعرف أحدهما الآخر إلا معرفة ضئيلة وسطحية، تعتمد على مواضع الضعف والنقص، أكثر مما تعتمد على مواضع القوة والجمال، ويعامل كل واحد منهما الآخر بشك وحذر، وباحتقار وكراهية، وكان أول تعارف بين الشرق والغرب عن قرب في الحروب الصليبية [17]، هذه الأخيرة التي اشتق اسمها من "الصليب" كانت عبارة عن ثماني حملات عسكرية أوربية امتدت من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر ميلادي[18].

لقد اختلف الباحثون حول دوافع الحروب الصليبية، وهل كانت بواعثها اقتصادية وسياسية اختفت وراء الدين لكسب الرأي العام الأوروبي آنذاك، أم هي في جوهرها حربا دينية خالصة. ويرجح فريق من الباحثين الرأي الثاني، إذ لولا معرفة قادة الغرب بمكانة الدين في نفوس الأوروبيين ما أعلنوها حربا مقدسة، فالحروب الصليبية كما يؤكد المدافعون عنها هي حروب مقدسة موجهة من الله لحماية الدين المسيحي ودرء خطر الزحف الإسلامي عنه، حيث وصل التوسع الإسلامي إلى جنوب فرنسا وحوصرت الدول الأوروبية المسيحية وأصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية، لقد استمرت الحروب الصليبية، بعد انقطاعها عسكريا، في أشكال جديدة يختلط فيها الغزو الفكري والنفسي والخلقي، وتتجمع في إطار التبشير والإستشراق [19].

في حين يقدم البروفسور الأمريكي "جون أسبوزيتو" John Aspozitto رؤية أخرى للأسباب التي أدت إلى الحروب الصليبية، وهي رؤية مغايرة تماما للرؤية الغربية الشائعة، حيث يعتقد أن الصليبيين كانوا مدفوعين بالدرجة الأولى إلى تحقيق مكاسب عسكرية واقتصادية عن طريق تأسيس إمبراطورية لاتينية في قلب العالم الإسلامي، ولأنها كانت خارجة لتوها من حقبة القرون الوسطى المظلمة، كانت أوربا بحاجة إلى مصدر من الثروات لإنعاش مدنها وأسواقها ولم يكن لهذا الطموح أن يتحقق إلا من خلال استعمار الأراضي الإسلامية المزدهرة اقتصاديا، آنذاك، مهما كانت المبررات[20].

في ذات السياق يرى فريق آخر أن الحروب الصليبية كانت لعدة أسباب أهمها:[21]

- الشعور والوعي في الغرب بخطر الإسلامي وتهديده، وهي النفسية التي وجدتها الكنيسة الأوروبية وسخرت لها جميع وسائل الإعلام والتعليم.
- التقدم العلمي الصناعي لأوروبا.
- مطامع الاستعمار، والشعور بتفوق الجنس الأبيض، وهي العقلية التي ورثتها أوروبا المعاصرة من التاريخ اليوناني.
- استغلال العلم للأغراض السياسية، وساهم الإستشراق فيه كوكالة للكنيسة والاستعمار الأوروبي، وقام بنشر فلسفة تفوق الغرب، وبث روح الانهزامية في الأمم المستعمرة من طرف الغرب.

لم يختلف اثنان من مؤرخي الغرب في تأثير الحروب الصليبية على ما يسمى بالنهضة الأوروبية، وبالرغم من اختلافهم في شدة هذا الأثر أو ذاك، وفي الدوافع التي دفعت أوربا لشن هذه الحروب وفي الأهداف التي حققتها، فإنهم لا يختلفون في تأثير احتكاك الصليبيين بالإسلام وجها لوجه على التيارات الفكرية التي بدأت تظهر في أوربا حين عاد الصليبيون تباعا إلى

بلدانهم، سواء كانت هذه التيارات الفكرية عداءً جارفـاً للإسـلام أو إعجاباً خافتًا بالمناخ الفكري السائد لدى المسلمين آنذاك[22].

ومن ثم فقد كانت الحروب الصليبية تشكل الذروة في مسعى الغرب للحـد من عالمية الإسلام وانتشاره، ومثلت تجربة تاريخية مريرة صـاغت معهـا العلاقة بين الغرب والإسلام صياغة سلبية ، كما أن الضمير الجمعـي لـدى المسلمين يربط بين صورة الغرب والحروب الصليبية، التي وإن لم تعايشـها الأجيال المعاصرة إلا أنها ربطتها بمختلف أشكال التدخل والحـروب التـي خاضها الغرب ضد أجزاء من العالم الإسلامي.

2- **الحركة الإستعمارية:** لقد عكس مسار التوسع الغربي بأكمله، الذي بدأ في السنوات المبكرة من القرن الخامس عشر، علة جوهرية غير سوية آخذة في النمو والتطور والتي انبثقت منها هوية الغرب، لدرجة أن تـم تبنـي مفهوم يجرد الآخرين من الآدمية[23]، والتفنن في ابتكار مختلف النظريات المبررة للحملة الاستعمارية ضد هذا الآخر، ومنه الشعوب الإسلامية، مع انهيار الإمبراطورية العثمانية كآخر المعاقل الكبرى للسلطة الإسلامية بدأ العالم الإسلامي في مجموعه يقع تدريجيا تحت الهيمنة الإمبريالية لأوروبا ذاتها، أي المقلوب النهائي لمعادلة سلطة العصور الوسطى، حيث جـاء حين من الوقت تحول فيه كل جزء تقريبا من بلدان العالم الإسلامي إلى ملكية استعمارية لمجموعة القوى الأوروبية: إنجلترا، فرنسـا، هولنـدا، اسبانيا، البرتغال، إيطاليا، وروسيا [24].

إن التفاعلات بين الدول الاستعمارية الأوروبية وبين المستعمرات منذ القرن السادس عشر وحتى ما بعد الحرب العالمي الثانية كانت في الأسـاس تفـاعلات بين الغرب والإسلام، ونتيجة لذلك ظل اهتمام أوروبا بالعالم الإسلامي ومعرفتها به وحتى منتصف ستينيات القرن العشرين متأثرين بشـدة بمتطلبـات السياسـة الاستعمارية وتوترات عملية إنهاء الاستعمار، وعلى الـرغم مـن أن التجربـة الاستعمارية والصراعات المناهضة للاستعمار هما عاملان مهمان فـي تحديـد تصورات المسلمين المعاصرين عن الغرب، فإنه ليس بالإمكان إغفال أثر هاتين العمليتين في التفكير الغربي، وإن كان أثرهما أقل وضوحا [25].

3- **الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي:** تعتبر الإستراتيجية الغربيـة تجاه العالم الإسلامي الأكثر تعبيرا عن حالة الإسلاموفوبيا التي يعـاني منها الغرب عموما وأمريكا على وجه الخصوص، وذلك من خلال مـا إتباع مجموعة من السياسات والاستراتيجيات تجاه العالم الإسلامي أهمها:
   - سياسة الاحتواء المزدوج لكل من إيران والعراق،

- العقوبات الاقتصادية المفروضة على كل من ايران والعــراق وليبيــا والسودان في مناسبات مختلفة،
- الدعم اللا مشروط لإسرائيل وسياسياتها في الشرق الأوسط.
- إقامة المشروع الشرق أوسطي كمحاولة لتمرير نفاذ إســرائيل فــي منطقة الشرق الأوسط(26).

4- **التدخــلات الغربــية في بلاد المسلمين:** يمكــن الإشــارة إلــى أهــم التدخلات الغربية في الدول الإسلامية منذ نهاية الحرب العالمية الثانيــة، والتي تعكس مدى سلبية وعدائية الموقف الغربي من المسلمين:

- قيام دولة إسرائيل سنة 1948 بدعم أمريكي بريطاني، والتي يقول بشــأنها برنارد لويس:" إن السبب الذي يقدم باستمرار كمبرر للمشــاعر العدائيــة لأمريكا بين المسلمين اليوم هو الدعم الأمريكي لإسرائيل"[27].
- في عام 1956 قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو مصر نتيجة تــأميم هذه الأخيرة لقناة السويس.
- في 1958 أرسلت الولايات المتحدة سفنا حربية إلى لبنان لحماية اســتقرار الدولة الموالية للغرب ضد الحملة العربية الشاملة والتي انطلقت من مصر.
- في 1967 وخلال حرب الستة أيام بين الدول العربية وإسرائيل ، قــدمت الولايات المتحدة دعما إستخباريا مباشرا لإسرائيل علاوة على الامــدادات العسكرية خلال فترة الصراع .
- في 1973 قدمت الولايات المتحدة دعما مماثلا عسكريا واستخباريا واســع النطاق لإسرائيل خلال حرب أكتوبر.
- في 1979 قامت الولايات المتحدة بدور نشيط لتوفير غطــاء مــن الــدعم للأكراد العراقيين ضد نظام صدام حسين، وذلك كرد فعل على العلاقــات الوثيقة التي تربط النظام العراقي مع الإتحاد السوفيتي السابق.
- في 1982 وجهت الولايات المتحدة بعض قطع أسطولها الحربي إلى لبنان لمواجهة القوات السورية هناك بعد غزو إسرائيل لبيروت الذي اســتهدف القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية.
- في 1985 شنت الولايات المتحدة عمليات قصف جوي واسع النطاق ضــد أهداف ليبية في طرابلس.
- بين سنتي 1990 و1991 حشدت الولايات المتحدة قوات عسكرية ضــخمة في المملكة العربية السعودية واضطلعت بمهمة شن حرب ضــد العــراق بحجة تحرير الكويت.

- بين سنتي 1992 و1993 تدخلت قوات الولايات المتحدة في الصومال تحت غطاء قيادة عامة لقوات الأمم المتحدة التي بدأت أول الأمر في صورة مهمة إنسانية لكنها تحولت بعد ذلك إلى مهمة عسكرية واسعة النطاق في ظل حرب أهلية[28].
- أكتوبر 2001 التدخل الأمريكي في أفغانستان تحت شعار تصفية الإرهاب الإسلامي المسؤول عن تفجيرات 11 سبتمبر 2001.
- في مارس 2003 ، التدخل العسكري الأمريكي البريطاني ضد العراق الذي كانت أهدافه المعلنة هي الإطاحة بنظام صدام حسين وإنقاذ الشعب العراقي من ديكتاتورية هذا النظام ، في حين أنه في الواقع كان من أجل السيطرة على منابع النفط في المنطقة ، وحماية أمن إسرائيل ، وإيجاد نظام حكم موالي للمصالح الأمريكية في المنطقة.
- التدخل الغربي بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي سواء بالشكل المباشر كما حدث في كل من سوريا وليبيا أو غير مباشر في مصر واليمن.

5- **التحامل الغربي الإعلامي على كل ما تعلق بالإسلام والمسلمين:** هذا التحامل يتضح من خلال:

- **تعمد الخلط بين "الإرهاب" و"الجهاد"**:لا شيء يجعل صورة الإسلام سلبية أكثر من العنف الذي يمارس ضد الأبرياء باسم الإسلام، فقد ربط الإسلام بالإرهاب واشتدت الصورة تركيزا بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر، إذ أصبح الكثيرون عبر العالم وخاصة الغرب يخشون بصورة هستيرية من كل ما هو إسلامي[29]. صحيح أن هناك أعمالا إرهابية يرتكبها يهود وبروتستانت وماويون وحتى إرهاب الولايات المتحدة الأمريكية في غوانتانامو، ولكن تطبيق المعايير المزدوجة هو الذي يركز حصرا على العنف الذي يرتكبه المسلمون دون غيره [30].

لقد استخدم خطاب "مكافحة الإرهاب" كذريعة للتدخلات الأمريكية حول العالم منذ عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية متحالفة مع المجاهدين الأفغان وداعمة لهم كجزء من إستراتيجية احتواء واستنزاف الاتحاد السوفييتي، وكانت تنادي المحاربين آنذاك بالمجاهدين، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي أصبحت تنادي نفس الأشخاص والجماعات بالإرهابيين. أما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر فقد أعيد بعث نفس الخطاب بصورة أكثر شمولية ودموية[31]، مما يمكن اعتباره من أهم عوامل عدم الاستقرار على المستوى العالمي عامة وعلى مستوى العالم الإسلامي خاصة.

لابد من الإشارة هنا إلى أن الغرب يصف كل الحركات الإسلامية المسلحة، سواء كانت جهادية أو إرهابية، بصفة الإرهاب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية نهجها المسلح، وبهذا فالغرب يساوي بين حركة حماس أو جهاد في فلسطين، التي تعتبر شرعية ومناضلة لتحرير أرضها، وبين تنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المسمى "داعش" والذين لا يستندان إلى أي شرعية في قتل الأبرياء.

- **التعدي على رموز الإسلام والإساءة لها:** خاصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مناسبات منذ بدءا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث في الكثير من القصص والروايات، كان آخرها الرسومات الكاريكاتورية المسيئة لشخصه الشريف في صحيفة دانمركية سنة 2012، ثم في صحيفة أخرى فرنسية سنة 2015.
- **الكيل بمكيالين في القضايا المتعلقة بالمسلمين:** حيث أن الإعلام الغربي يتجاهل أو يبسط سقوط العشرات أو المئات من الضحايا المسلمين يوميا في فلسطين والعراق وسوريا واليمن وبورما ويعتبر ذلك أمرا عاديا. في حين إذا تعلق الأمر بضحايا غربيين فرنسيين أو أمريكيين أو إسرائيليين .. كرس الإعلام كل طاقاته للفت الرأي العام الدولي إلى أن هناك مؤامرة إسلامية تحاك ضد الغرب ومن ثم تقمص دور الضحية، مثلما حدث في تفجيرات الحادي عشر سبتمبر 2001 أو تفجيرات باريس في الثالث عشر نوفمبر 2015 بباريس.

رابعا: علاج ظاهرة الإسلاموفوبيا: من أجل القضاء على ظاهرة إسلاموفوبيا، أو حتى نكون أكثر واقعية وموضوعية، لنقل على الأقل الحد منها، يمكن اقتراح بعض الخطوات على طرفي المعادلة: المسلمون والغرب.

إن المسلمين دولا وشعوبا يتحملون القسط الأكبر من المسؤولية بخصوص الصورة السلبية والنمطية المتداولة عن الإسلام في الغرب و في العالم ككل، وذلك لكونهم لم يقدموا النموذج الأمثل والمشرف بل والحقيقي عن الإسلام، باعتبار أن الغرب خاصة على المستوى الشعبي يبحث عن النموذج العملي المتبع من قبل المسلمين لفهم الإسلام، فكان أن وجد نموذجا سيئا في أغلب الأحيان من خلال أوضاع المسلمين في شتى الأقطار الإسلامية وكذا المهاجرين منهم، فأثر ذلك على موقفه من الإسلام والمسلمين، ومن ثم كان لزاما على المسلمين تحسين هذه الصورة من خلال إصلاح ذات البين على المستويين الداخلي والبيني.

أولا: على المستوى الداخلي بحل الأزمات والنزاعات الداخلية التي يعاني منها كل قطر، وذلك تكريس دولة القانون والمؤسسات وتحقيق المساواة بين مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو المذهبية. وإحداث نهضة شاملة على جميع الأصعدة التعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ثانيا: على المستوى البيني بمحاولة إيجاد تسويات وحلول للنزاعات القائمة بينها، وضرورة أن تلعب الهيئات الإقليمية، كل في حدود اختصاصها، دورها في ذلك. بل ولم لا محاولة الرفع من فعالية المؤسسات التمثيلية الموجودة، كمنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة التعاون الإسلامي..، وإضافة مؤسسات جديدة في مجالات التكامل الاقتصادي والتجاري تمهيدا لمراحل متقدمة مثلما جرى للدول الأوروبية.

- على المسلمين، ساسة وشعبا ومهاجرين في بلاد الغرب، تحسين صورتهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام، بتحسين سلوكاتهم مع الذات أولا ثم مع الآخر ثانيا.
- على المؤسسات الدينية كالأزهر والزيتونة ووزارات الأوقاف في مختلف الدول الإسلامية أن تلعب دورا أكبر في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام، بإبراز الحدود بين الجهاد والإرهاب وبين الاعتدال والتطرف، هذا الأخير الذي يعتبر المرجعية لمختلف النشاطات الإرهابية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.
- ضرورة الاستفادة من الثورة المعلوماتية عن طريق الانترنت في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام وكذا تحسين صورة المسلمين.
- على الهيئات الإسلامية الدولية كمنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية وغيرها، من الهيئات الدولية التي تجمع بين الدول الإسلامية، أن تلعب دورا أكثر فعالية في تحسين صورة الإسلام وأوضاع المسلمين، كل في حدود اختصاصه، بتنظيم ندوات وملتقيات وتخصيص قنوات فضائية وإعلامية لهذا الغرض.
- على الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية خصوصا إعادة النظر في الإسلام والمسلمين بصورة أكثر موضوعية وايجابية وذلك اعتمادا على الباحثين والأكاديميين والإعلاميين الأكثر موضوعية في هذا المجال، وبتجاهل الجهات الداعية إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الغرب ساسة وشعبا.
- على المسلمين والغرب تغليب كفة العقلاء في كلا الجانبين، والاتجاه نحو تعارف حضاري أعمق من منطلق أن الحضارة نتاج بشري متراكم، هذا التعارف الذي سيكون مدخلا لحوار حضاري مثمر.

خاتمة:

مما سبق يمكن القول أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تتعدى معنى الخوف من الإسلام إلى الكراهية والعداء الشديدين للإسلام وكل ما يتصل به، كما أنها نتاج تراكم لعدة أحداث تاريخية بدءا من ظهور الإسلام إلى غاية العصر المعاصر لدرجة أنه يمكن معها تفسير أغلب سلوكات الغرب السلبية تجاه المسلمين من منطلق الإسلاموفوبيا، أما عن سبل الحد من هذه الظاهرة فالعبء يقع على كلا طرفي المعادلة الغرب والمسلمين على حد سواء.

الهوامش:

(1) Ingrid Ramberg, « L'islamophobie et ses conséquences pour les jeunes : rapport du séminaire » , Centre européen de la jeunesse, Budapest, 1er- 6 juin 2004, éd. Council of Europe, 2005, p. 6 .

(2)http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/islamophobie/186470?q=ISLAMOPHOBIE#10927814

(3) أكمل الدين إحسان أوغلي، **العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد**، دار الشروق القاهرة، مصر، ط1، 2013 ، ص ص 195- 196.

(4) إدريس لكريني، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المملكة المغربية، ط1، 2005، ص ص 141 /142.

(5) باسم خفاجي، **لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم**، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006، ص27.

(6) زينب عبد العزيز، **موقف الغرب من الإسلام:محاصرة وإبادة**، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص255.

(7) حسن حنفي، **"الإسلام والغرب..ورقة عمل"**، مجلة شؤون عربية، ع 109، ربيع 2002، ص ص 113– 116.

(8) باسم خفاجي، المرجع السابق، ص ص 23 – 26.

(9) رجب البنا، **المنصفون للإسلام في الغرب**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1 ، 2005 ، ص45.

(10) جراهام أي فوللر، وإيان أوليسر، **الغرب والإسلام: بين التعامل والمواجهة**، ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 28.

(11) محمد إبراهيم الفيومي، **الإستشراق رسالة استعمار**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1993، ص 187.

(12) فواز جرجس، **"الأمريكيون والإسلام السياسي"**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، لبنان، ع 217، مارس 1997، ص ص 09 – 10.

(13) رجب البنا، المرجع السابق، ص 46.

(14) محمد إبراهيم مبروك، **الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر، ط1 ،2002، ص 20.

(15) فواز جرجس، المرجع السابق، ص ص 11 – 12.

(16) مأمون فندي، **ضحايا الحداثة: أمريكا والعرب بعد أحداث 11سبتمبر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 206.

(17) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **حديث مع الغرب**، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1967، ص ص 15- 16.
(18) هشام العوضي، **موقف الغرب من الإسلاميين**، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 14.
(19) مصطفى حلمي، **حضارة العصر ..الوجه الآخر**، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2001، ص64.
(20) هشام العوضي، المرجع السابق، ص ص 14 – 15.
(21) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **المسلمون تجاه الحضارة الغربية**، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1987، ص ص 5 – 6.
(22) قاسم السامرائي، **الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية**، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض السعودية، ط1، 1983، ص 30.
(23) ستيفن شيهي، **الإسلاموفوبيا: الحملة الإيديولوجية ضد المسلمين**، ترجمة: فاطمة نصر، مكتبة سطور، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص27.
(24) جراهام أي فولر، وإيان أو ليسر، المرجع السابق، ص47.
(25) نفس المرجع، ص 33.
(26) للتفصيل أنظر عبد القادر رزيق المخادمي، **مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات**، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، ط1، 2005.
(27) محمد إبراهيم مبروك، المرجع السابق، ص 23.
(28)جراهام أي فولر، وإيان أوليسر ، المرجع السابق ، ص 54
(29) مراد هوفمان وعبد المجيد الشرفي، **مستقبل الإسلام في الغرب والشرق**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص136.
(30) نفس المرجع، ص 137.
(31) هدى فرج، **الإرهاب الحصان الخاسر لأمريكا وإسرائيل**، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، د ط، 2009، ص9.